

تفسير البحر المحيط

@ 298 @ شيء من بناء افعل مطوعاً ، ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب سيبويه ، وهذا الرجل كثير التبجح بكتاب سيبويه ، وكم من نص في كتاب سيبويه عمى بصره وبصيرته حتى أن الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتاباً يذكر فيه ما غلط فيه الزمخشري وما جهله من نصوص كتاب سيبويه . وأهدي : افعل تفضيل من الهدى في الظاهر ، وهو نظير : العسل أحلى أم الخل ؟ وهذا الاستفهام لا تراد حقيقته ، بل المراد منه أن كل سامع يجب بأن الماشي سويّاً على صراط مستقيم أهدى . وانتصب { قَلِيلًا } على أنه نعت لمصدر محذوف ، وما زائدة ، وتشكرون مستأنف أو حال مقدرة ، أي تشكرون شكراً قليلاً . وقال ابن عطية : طاهر أنهم يشكرون قليلاً ، وما عسى أن يكون للكافرين شكر ، وهو قليل غير نافع . وأما أن يريد به نفي الشكر جملة فعبر بالقلّة ، كما تقول العرب : هذه أرض قلّ ما تنبت كذا ، وهي لا تنبته ألبتة . انتهى . وتقدم نظير قوله والرد عليه في ذلك . { ذَرَأَ أَكْثَمُ } : بثكم ، والحشر : البعث ، والوعد المشار إليه هو وعد يوم القيامة ، أي متى إنجاز هذا الوعد ؟ . { فَلَمَّ رَأَوْهُ زُلْفَةً } : أي رأوا العذاب وهو الموعود به ، { زُلْفَةً } : أي قريباً ، أي ذا قرب . وقال الحسن : عياناً . وقال ابن زيد : حاضراً . وقيل : التقدير مكاناً ذا زلفة ، فانتصب على الطرف . { سَيِّئَاتُ } : أي ساءت رؤيته وجوهمهم ، وظهر فيها السوء والكآبة ، وغشيها السواد كمن يساق إلى القتل . وأخلص الجمهور كسرة السين ، وأشمها الضم أبو جعفر والحسن وأبو رجاء وشيبة وابن وثاب وطلحة وابن عامر ونافع والكسائي . { وَقِيلَ } لهم ، أي تقول لهم الزبانية ومن يوبخهم . وقرأ الجمهور : { تَدْعُونَ } بشد الدال مفتوحة ، فقيل : من الدعوى . قال الحسن : تدعون أنه لا جنة ولا نار . وقيل : تطلبون وتستعجلون ، وهو من الدعاء ، ويقوي هذا القول قراءة أبي رجاء والضحاك والحسن وقتادة وابن يسار عبد الله بن مسلم وسلام ويعقوب : تدعون بسكون الدال ، وهي قراءة ابن أبي عبلّة وأبي زيد وعصمة عن أبي بكر والأصمعي عن نافع . روي أن الكفار كانوا يدعون على الرسول صلى الله عليه وسلم (وأصحابه بالهلاك . وقيل : كانوا يتآمرون بينهم بأن يهلكوهم بالقتل ونحوه ، فأمر أن يقول : { إِنَّ أَهْلَ كَذِبٍ اللَّاهُ } كما تريدون ، { أَوْ رَحِمْنَا } بالنصر عليكم ، فمن يحميكم من العذاب الذي سببه كفركم ؟ ولما قال : { أَوْ رَحِمْنَا } قال : { هُوَ الرَّحْمَنُ } ، ثم ذكر ما به النجاة وهو الإيمان والتفويض إلى الله تعالى . وقرأ الجمهور : { فَسَتَعْلَمُونَ } بقاء الخطاب ، والكسائي : بياء الغيبة نظراً إلى قوله : { فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ } . .

ولما ذكر العذاب ، وهو مطلق ، ذكر فقد ما به حياة النفوس وهو الماء ، وهو عذاب مخصوص . والغور مشروح في الكهف ، والمعين في قد أفلح ، وجواب { إِنْ أَهْلَكَ نَارِيَّ } : { فَمَنْ يُجِيرُ } ، وجواب { إِنْ أَصْبَحَ } : { فَمَنْ يَأْتِيَكُمُ } ، وتليت هذه الآية عند بعض المستهزئين فقال : تجيء به الفوس والمعاويل ، فذهب ماء عينيه . .